

صك التثبيت الذي قدمه آية الله خامنئي إلى الرئيس أحمدني نجاد قد يكبح نسبياً توجه مير موسوي نحو التصعيد، لكنه لا يعني أن المحافظين حققوا نصرهم النهائي على الاصلاحيين.

فبعد أن تبرد (إذا ما بردت) العاصفة التي خلفتها نتائج الانتخابات، سيعود الطرفان إلى المواقع التي كانا عليها قبل 12 يونيو/ حزيران ليستأنفا إطلاق النار على أرجل بعضهما بعضاً.

وهذا أمر يبدو مؤكداً في ضوء شبه الاجماع الذي بات سائداً في أوساط الشعب الإيراني حول وجود مخالفات فاقعة في عملية الاقتراع، هذا إضافة إلى تفشي الفساد وتعرثر الأداء الاقتصادي في الولاية الأولى لأحمدني نجاد . فالنمو الاقتصادي يكاد يكون معدوماً، والبطالة بين الشباب تقترب من رقم فلكي، 30 في المائة وفق إحصاءات غير رسمية، و”السوق السوداء” تكاد تبتلع كل بزمات “السوق البيضاء.” ومع ذلك، وكما أشرنا بالأمس، فدينامية الداخل والخارج التي تتحكم بتطور الصراع السياسي في إيران، تميل بقوة لصالح الثاني.

فذاكرة الشعب الإيراني تقول له كل يوم إن ما حال دون انتصار ثورته الدستورية الكبرى عام 1905 ثم ثورته القومية الاستقلالية مع محمد مصدق سنة 1953 كان التدخل البريطاني ثم البريطاني الأمريكي المشترك . وهو يخشى الآن أن يقع في قبضة السلطة الأجنبية مجدداً، إذا ما نشبت الحرب الأهلية في البلاد.

وهذا العامل الخارجي يلعب الآن تماماً لمصلحة قوى النظام المحافظة، ويكبح عوامل الصراع الداخلي الطبيعي في إيران.

لكن الباحث الفرنسي اوليفيه روا، وهو خبير أيضاً في الشؤون الإيرانية والإسلامية، له وجهة نظر أخرى . فعلى رغم اعترافه بمدى تأثير العوامل الخارجية على الصراعات الداخلية، إلا أنه يرى أن ذلك لن يتمكن في النهاية من وقف ما يسميه “مسيرة الثورة الحتمية للدين على السياسة في إيران.”

وما يقصده روا هنا هو أن احتمال فشل تجربة الحكم الديني، ستسفر في النهاية عن مطالبات بفصل الدين عن السياسة، وإعادة رجال الدين إلى “تكناتهم الروحية” أي المساجد والحسينيات.

هل وجهة نظر روا في محلها؟ لو أن مثل هذا الرأي طرح في غير الحقبة التاريخية الراهنة، لكان روا مخطئاً تماماً . إذ إن الصراعات الداخلية الإيرانية في السنوات السابقة كانت تجرى في مناحات إقليمية دولية تهدد بتغيير كل خرائط منطقة الشرق الأوسط، بما فيها إيران التي ذاقت مرات عديدة في تاريخها الحديث الطعم المر لاقتسامها بين الإنجليز والروس والأتراك . وهذا ما جعل اليد العليا آنذاك للعوامل الخارجية الكابحة للصراعات الداخلية الطبيعية.

بيد أن الصورة لا تبدو على هذا النحو الآن، فإيران هذه الأيام في حالة هجوم لا دفاع، بعد أن تمدد نفوذها في المنطقة، وبعد أن طوت أمريكا مشروعها الكبير لتغيير الشرق الأوسط الكبير وباتت مستعدة للإنصات إلى مطالب إيران الأمنية والإقليمية

وهذا التطور هو ما يجعل المعارضة قادرة على خوض المجابهات الداخلية وعلى نقلها إلى الشارع، من دون كبير خوف من اتهامها بأنها تخدم أو تسهل بذلك أجنادات الخارج . ولو أن إدارة أوباما حذت حذو إدارة بوش في التدخل السافر في الشؤون الداخلية الإيرانية، لما شعرت المعارضة بقيادة موسوي بالقدرة

على خوض الصراع الداخلي على هذا النحو مع المحافظين، وكانت كررت ما فعله الرئيس خاتمي وأنصاره حين انسحبوا بهدوء من المجابهة بعد أن بدا لهم أن ذلك قد يهدد مصير النظام الإسلامي والوطن الإيراني في آن

المجابهات لا تزال في بداياتها الأولى، وهي مرشحة للتصعيد في إطار "ثورة الدين على السياسة"، ما لم تتدخل العوامل الموضوعية الخارجية مجدداً لوقف اختمارها الذاتي الطبيعي، والكرة الآن في ملعب واشنطن وتل أبيب. نقلا عن جريدة "الخليج" الإماراتية

قضايا وأحداث | 09.05.2009

البابا : "استغلال الدين في السياسة يؤدي الى الصراع "



[Großansicht des Bildes mit der Bildunterschrift:](#)  
[أعلن البابا بنديكت السادس عشر عن بدء رحلة حجه المسيحي إلى الأرض المقدسة](#)

دان البابا بنديكت السادس عشر اليوم السبت من داخل أكبر مساجد الأردن في عمان "التوظيف الإيديولوجي للدين" لغايات سياسية معتبرا أنه سبب في الخلاف بين الديانات المختلفة. البابا أكد أيضا على أهمية حوار الأديان والمصالحة.

زار بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر اليوم السبت (09.05.09) مسجد الملك حسين بن طلال في العاصمة الأردنية عمان، وهو ثان مسجد يزوره البابا بعد المسجد الأزرق في اسطنبول منذ اعتلائه كرسي البابوية، وكان ذلك في كانون الأول/ديسمبر عام 2006. ورافق البابا في جولته في مسجد الملك الحسين بن طلال الأمير غازي بن محمد، مستشار العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني للشؤون الدينية وإحدى الشخصيات الأردنية البارزة التي تدعم الحوار بين المسلمين والمسيحيين. وقدم إمام المسجد شرحا للبابا عن تاريخ المسجد الذي بني تكريما لذكرى الملك الراحل الحسين بن طلال والد العاهل الأردني الحالي والذي توفي في شباط/فبراير عام 1999.

البابا "استغلال الدين في السياسة يؤدي إلى الصراع"



*ildunterschrift*: العاهل الأردني عبد الله الثاني والملكة رانيا في يستقبلان بابا الفاتيكان

وقال البابا في كلمة للزعماء المسلمين "إن المسلمين والمسيحيين، بدافع تاريخهم المشترك الذي تميز في غالب الأحيان بعدم التفاهم، مدعوون اليوم إلى السجود للرب ليكونوا أمناء للتعاليم الدينية تغذيهم الرحمة والرغبة في أداء كل ما هو حق ومستحب". وكان البابا يتحدث في اجتماع لعلماء الدين الإسلامي وأعضاء السلك الدبلوماسي ورؤساء الجامعات في الأردن أمام مسجد الحسين بن طلال في عمان. وأضاف "غالبًا ما يكون هذا استغلال إيديولوجي للدين ويتم ذلك في بعض الأحيان لتحقيق أهداف سياسية وأن هذا الأمر من شأنه أن يكون عاملاً مساعداً على خلق التوترات والانقسامات" ودعا المسلمين والمسيحيين لأن ينشدوا العدل والاستقامة.

وكان البابا قد قام في وقت سابق اليوم السبت بزيارة كنيسة الصياغة مقام النبي موسى في جبل نبو غربي مدينة مادبا، حيث أدى الصلاة لبركة المكان والجموع في الكنيسة بمشاركة المصلين الذين يمثلون الطوائف المسيحية ورؤساء الطوائف ورؤساء بعثات دبلوماسية. وذكرت وكالة الأنباء الأردنية الرسمية (بترا) أن البابا بارك أيضا اليوم السبت وضع حجر الأساس لجامعة مادبا التابعة للبطريركية اللاتينية.

### بدء رحلة الحج

ومن موقع كنيسة الصياغة أعلن البابا بنديكت السادس عشر عن بدء رحلة حجه المسيحي إلى الأرض المقدسة. وفي خطبة ألقاها عقب انتهاء الصلاة، قال إن الرب دعانا مثل موسى "للخروج من الخطيئة والعبودية والعبور إلى الحياة والحرية"، مضيفاً أن "وعداً صادقاً أعطي لنا بان يقود الرب مسيرتنا".

وعدد في الخطبة الأحداث المسيحية الكبرى التي جرت على الأرض الأردنية، حيث بدأ السيد المسيح رسالته من نهر الأردن عندما عمد على يد يوحنا المعمدان الذي جاء إلى شرق الأردن ليعد الطريق

لمجيء المسيح. ويعتبر جبل نبو أحد مواقع الحج المسيحي الخمسة في الأردن التي اعتمدها الفاتيكان رسمياً في مطلع الألفية الثالثة وزار بعضها البابا الراحل يوحنا بولس الثاني.

### الحبر الأعظم على خطى المسيح

وخلال زيارة الحج التي يقوم بها إلى الأرض المقدسة إلى غاية الخامس عشر من شهر أيار/ مايو، سيتوقف البابا بنديكت السادس عشر عند عدد من المحطات الرئيسية في حياة السيد المسيح كما ذكر في الأناجيل. فمن بيت عنيا حيث عمد يوحنا المعمدان المسيح في نهر الأردن، سينتقل إلى القدس ليزور كنيسة رقاد السيدة العذراء حيث غفت مريم بالقرب من المكان الذي تناول فيه المسيح العشاء الأخير وليحيي قداساً على سفح جبل الزيتون. وفي الضفة الغربية سيزور البابا في بيت لحم كنيسة المهد، حيث شهدت مغارتها ولادة المسيح. وسيقيم قداساً في الساحة المقلبة لها. ثم ينتقل بعدها إلى الناصرة، إحدى أهم المحطات في الديانة المسيحية.

ومن المنتظر، أن يقيم أيضاً قداساً في الهواء الطلق على جبل القفزة حيث حاول حشد غاضب دفع المسيح إلى الهاوية وبعد ذلك كنيسة البشارة. ثم يعود بعدها إلى القدس لزيارة كنيسة القيامة، التي تمثل لجزء كبير من المسيحيين قدس الأقداس، إذ أقيمت هذه الكنيسة أقيمت في محيط المكان لذي يعتقد أن المسيح صلب ودفن وقام فيه من بين الأموات. أما في القدس القديمة فسيوزر البابا الحرم القدسي وحائط المبكى كما فعل سلفه يوحنا بولس الثاني في اذر/مارس 2000.

(وب.دب.أرويترز/ أف ب)

تحرير طارق أنكاي

محمد عبدالله الأحمد

### الحوار المتمدن - العدد: 1094 - 30 / 1 / 2005

#### الدين و السياسة

تعتقد الجماعات الدينوسياسية أنها دائماً على حق ، و ينبع هذا بالأصل من حقيقة أن عملها السياسي قائم على الفكر الديني ، الذي في حقيقة الأمر هو طريق أو طريقة إلى الله أي إلى عبادة الله عز وجل إضافة إلى قضايا علاقة الإنسان بأخيه الإنسان...

أنا أو من في الحقيقة بضرورة أن يسمو الدين فوق السياسة و ضرورة ترك السياسة لأهلها حتى ولو (إذا أراد البعض) على مبدأ الضرورات تبيح المحظورات

إن الدين بالأصل يأتي من (عاطفة) الايمان و هو مؤسس على (الروحي) السامي على (المادي) و بالتالي فإن أغلب الأحزاب و الحركات الدينية في العالم مسيحية كانت أم مسلمة أم بوذية... الخ تواجه في الحقيقة أزميتين:

## 1- أزمة العلاقة مع الآخرين

### 2- أزمة تقريب السياسي إلى الديني

بالنسبة لأزمة العلاقة مع الآخرين فإنها تتبع أصلاً من أن أغلب المنتسبين للجماعات (الدينوسياسية) يتصورون أنهم (الحزب المقدس) و أن الآخرين أقل طهارة منهم و يتمثل هذا الأمر أحياناً بأشكال خطيرة عندما يتصور هؤلاء أنهم في كل تصرفاتهم إنما يمارسون قدسية العمل السياسي حتى في أشد التفاصيل و تصبح معارضة الآخر لهم مكروهة على قاعدة أن الآخر (غير قدسي)... أغلب هؤلاء يشهدون و يحتدون في أدائهم السياسي عندما يكون الآخر (غير المقدس) بنظرهم منطقياً أكثر منهم في طرحه و تعامله مع الحياة ، حيث أثبت التاريخ و الحياة أن (سمو) الديني عن السياسي و ابقاء المسألة الدينية في إطارها العبادي الجميل و إبقائها كناظم للحياة الشرعية بين الناس هو أفضل لها و للحياة السياسية.

عندنا في منطقتنا يعتبر التأسيس السياسي على ما هو ديني شديد الخطورة و ذلك لأن التراث الذي خلفه من جاؤوا الخدمة سلاطين الدول و ممالك (الملل و النحل) يمتلئ بالكراهيات و حتى بتعليم طرق و مذاهب صنع الكراهية للأخر المختلف ، و كأني ببعض المتدينين ينسون أن لا اجتهاد في النص و أننا في زمن آخر يحتاج إلى ثقافة المحبة و التسامح و هذا يتطلب إلغاء الاعتماد على ثقافة التكفير التي يعتبر عزابها الأول (ابن تيمية) مثلاً...

يقدم البعض من التيار الدينوسياسي مقولات من يعتبرونه (شيخ الاسلام) و عدم قراءة ما قاله الرجل بعين نقدية على الأقل بسبب الألف سنة تقريباً التي مرت منذ وفاته ، ليعتبر تأسيساً لثقافة التكفير و الكراهية ، حيث أننا نقبل بالطبع ما يسمى برامج سياسية غير طائفية و لكن ماذا سنفعل بالتهليل و التمجيد لأصحاب الثقافة التكفيرية و اعتبارهم المصادر و المراجع التي لا يعلا عليها....

وهكذا فبينما الدين فلسفة حب و ايمان و بينما الصلاة و العبادات كلها هي تقرب للرحمن الرحيم ، يمتلئ تراث التكفير بالكراهية و دوافع البغض في مؤشر خطير قد لا تفعل فيه السياسة فعلها (إذا سبقت سيوفها عدلاتها)...

في بلاد الشام و العراق كلها ، حيث يركب المجتمع من فسيفساء مذهبي يصبح أي اعتراف بحركة سياسية أو حزب قائم على ايديولوجيا دينوسياسية أمر له محاذيره و حتى خطورته المستقبلية ، حيث تتحول الحياة السياسية إلى أقرب ما يكون إلى مجرد استقطابات دينوسياسية بين المذاهب و لذلك فإنه على الحركات التي تعتمد المنهج الديني السياسي أن تدرك هذه المسألة جيداً عندما تضع برامجها السياسية و ذلك أخذة بعين الاعتبار أن عليها أن تتكيف مع واقع مجتمعها و ربما عليها في وقت من الأوقات أن تجسد عملها السياسي في مفردة حياتية و سياسية (و دينية) أساسية يحتاجها المجتمع و هي (العدالة مثلاً) فقيمة العدل الاجتماعي هي القيمة (القاسم المشترك) الأساسي بين ما هو ديني و ما هو سياسي و باعتبار أن (العدل هو أساس الملك) فإن التيار الديني السياسي يستطيع أن يجد في قيمة العدل القيمة العظمى و الأساسية لكي يسخر عمله السياسي و الاجتماعي لأجلها و هنا نأتي للحديث عن النقطة الثانية و التي نوصفها بأزمة الفكر الدينوسياسي و هي أزمة تقريب السياسي إلى الديني ، فإذا تجاوز هذا الأمر مفهوم العدل و إقامة العدل الاجتماعي ، فإن المسألة ستصل إلى حدود الأزمات مرة أخرى..

وحتى لا نقع في مطب البحث في الأفكار المجردة ، لا بد لنا من دراسة التجربة التركية في هذا المجال ،

أولاً مع حزب الرفاه و بعدها مع حزب العدالة و التنمية ، حيث نرى أن المجتمع التركي وجد في نهاية المطاف في نفسه القدرة على خلق تكييفات إيجابية سياسية بعد أن مر بمراحل اضطراب كادت أن تؤدي لتدخل المؤسسة العسكرية مرة أخرى وهي التي ينص الدستور التركي أنها هي (ضامن) الدستور العلماني للدولة..!

من منطلق أن العرب يقعون في الحفر ثم يتحدثون عن كيفية الخروج منها نتحدث و نتحدث أيضاً من منطلق الإشارة إلى حفرة قد نقع فيها (وقعةً وأيما وقعة) أريد أن أختتم الحديث بما لا يحب البعض سماعه باعتباره (أغنية قديمة) و (اسطوانة مشروخة) وهو أن هذه القضية مرهونة أيضاً بالتطورات الجارية بشأن التسوية السلمية (و الحرب) في المنطقة و هي مرهونة له بجانبها المتعلق بأجندة كل القوى السياسية الداخلية عندنا ، حيث أرى أن الجميع يتوحد الآن على ضرورة النضال لتحرير الأرض أولاً و ضد مشاريع تغيير هوية المنطقة العربية.. لكن المستقبل القادم سيأتي إلينا و هو يحمل في جعبته الكثير من الأسئلة التي علينا الإجابة عليها كمجتمع و أحد أهم هذه الأسئلة كان و سيكون متعلقاً بطبيعة المحتوى و الشكل الذي يمكن فيه للتيار الديني أن يصبح عضواً طبيعياً في مجتمعنا في المرتبة الإيجابية و ليس في مرتبة الخطر و الحذر...

د.محمد عبدالله الأحمد.

## إبراهيم غرابية

### مرجعية مسيحية للحياة العامة المسيحية والسياسة والنضال

يتزايد تأثير الدين في السياسة الغربية على نحو لا يقل عنه في الشرق، وتتلاشى معه الصورة التقليدية التي سادت عن الغرب بأنه علماني يفصل بين الدين والسياسة والحياة، ولا يتوقف المشهد عند صعود التدين والتعصب الديني وصعود العنصرية والكراهية المستندة إلى الدين، بل يتجاوز ذلك أيضاً إلى التأثير في السياسة والانتخابات والسياسات العامة.

وتؤدي الكنيسة المسيحية أيضاً وبخاصة في أميركا اللاتينية دوراً اجتماعياً ونضالياً، وتشارك المجتمعات مطالبها واحتياجاتها وتواجه معها السلطات والشركات الرأسمالية.

### مرجعية مسيحية للحياة العامة

"أي سيارة كان يسوع سيقود؟" هذا السؤال يشكل شعاراً لحملة إعلانية مناهضة للتلوث تنظمها الشبكة البيئية الإنجيلية ومقرها بنسلفانيا، ويقول قائد الحملة الكاهن جيم بول إن التلوث الذي تسببه السيارة كان له أثر مدمر على الناس، وعلى صانعي السيارات أن يصنعوا سيارات تعكس قيمنا الأخلاقية.

ولكن الكاهن بات روبرتسون من الإنجلييين الأميركيين الذي يستخدم سيارة رياضية أذان هذه الحملة البيئية وقال: أظن أن ربط يسوع بحملة مناهضة للسيارات الرياضية يقارب التجديف وأعتبره نكتة.

والمثال يشير إلى نموذج من دور الكنيسة اليوم في حياة الغربيين العامة والسياسية وإلى أنها حاضرة بأهمية كبرى وتتنزاد أهميتها، بل إن الولايات المتحدة اليوم بقيادة بوش الأصولي اليميني تبدو دولة دينية متطرفة لا تختلف في طرفها الديني عن طالبان.

لقد تشكلت الدول الأوروبية الحديثة بعد سلسلة من التفاعلات والصراعات والنهضة العلمية والفنية، واتجهت الدول والسياسات بمحصلتها وتداعياتها وجهة علمانية تفصل بين الدين والسياسة لحماية الديمقراطية كما في الثورة الإنجليزية عام 1679، وفي فرنسا لحماية الجمهورية (1789) أو لحماية الحرية الدينية كما في الولايات المتحدة الأمريكية (1776).

ولكن الكنيسة موجودة على نحو أكثر تعقيدا وشمولا مما سبق، فالإنسان كائن ديني، وربما يكون الإنسان الغربي المسيحي أكثر ارتباطا بالدين والمؤسسة الدينية من المسلم.

فالصلاة والموت والاعتراف والزواج مرتبطة أساسا بالمؤسسة الدينية بلا فكاك منها، بخلاف الإسلام الذي يتيح للناس والأفراد ممارسة العبادة والطقوس والمراسم والحياة بلا حاجة لرجل دين أو مؤسسة دينية وإن كان وجودها ضرورة تنظيمية وإدارية وليس دينية كما في المسيحية.

ويبدو التاريخ الأوروبي سلسلة من الحروب والصراعات والفوضى الناجمة عن الحروب والخلافات الدينية، عندما انشقت الكنيسة بين الكاثوليك والأرثوذكس، ثم بين الكاثوليك والبروتستانت، بالإضافة إلى الصراعات والتضحيات التي ارتبطت بسعي الإنسان الدائب للحرية والتقدم والفرديانية. 

وبقدر ما كانت التجربة قاسية ومليئة بالنازج الموحشة والمظلمة فقد كانت أيضا مفعمة بالتقدم الإنساني، فالحرية والعلوم والحضارة القائمة اليوم هي من محصلات ونتائج هذا الكفاح والجدل مع الدين والكنيسة ودروهما وموقعهما في الحياة والسياسة.

ولم تؤد موجة العلمانية وفصل الدين عن الحياة والسياسة التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر أو قبل ذلك بقليل إلى تغييب الكنيسة كما كان يبدو للوهلة الأولى في منتصف القرن العشرين حتى إن مجلة عريقة ومهمة (نيوزويك) وضعت على غلافها سؤالاً مثيراً استفزازياً " هل حقاً مات الله؟ "

فقد ظهرت الكنيسة بسرعة وبوضوح محركاً للحركات السياسية في الحكم والمعارضة والإصلاح في بولندا ودول الاتحاد السوفياتي وفي أميركا اللاتينية وفي الولايات المتحدة أيضا.

وتلخص رواية شفرة دافنشي لمؤلفها دان براون -والتي بيع منها عشرات الملايين من النسخ ثم حولت إلى فيلم سينمائي لقي إقبالا كبيرا- قصة تفاعل الدين مع السياسة والفلسفة والثقافة والحياة العامة في الغرب وفي حياة الأوروبيين وشؤونهم على مدى ألفي سنة، فقد ظلت الكنيسة حاضرة في الصراع والتقدم والنضال والسلطة والحياة في صيغ متعددة ومعقدة.

## المسيحية والسياسة والنضال

كان البابا السابق يوحنا بولص الثاني رمزا للحملة المناهضة للشيوعية في بلده بولندا ودول أوروبا الشرقية بعامة، ويشكل اليوم الحزب الديمقراطي المسيحي القوة السياسية الأولى في ألمانيا.

وكان كذلك لفترات طويلة في تاريخ ألمانيا الحديث، وفي البلقان كانت الكنيسة الكاثوليكية الصربية تقود الصراع والمجتمعات في الحرب الأهلية التي دارت بعد وفاة الرئيس اليوغسلافي السابق تيتو.

وفي جزيرة تيمور التي استقلت مؤخرا عن إندونيسيا وكانت قبل ضمها لإندونيسيا مستعمرة برتغالية لمئات السنين، واعتنق في أثناء ذلك أغلبية سكانها المسيحية يتسلم رجال الدين مهام سياسية وقيادية.

حتى إنه يبدو أن الكنيسة هي الحزب السياسي الحاكم والأكثر أهمية وفاعلية، أو هي المرجعية العليا التي تتنافس الأحزاب السياسية على كسب تأييدها وثقتها.

فلم تكن المسيحية الكاثوليكية في تيمور دينا فقط، ولكنها محرك الصراع التيموري الإندونيسي، وكان الفاتيكان على الدوام رافضا للحكم الإندونيسي للجزيرة ويدعم استقلالها مخالفا العالم الغربي الذي ظل صامتا إزاء هذا الوضع أكثر من ربع قرن.

وفي الولايات المتحدة ركزت الحملة الانتخابية للجمهوريين بشكل واضح علي الدين، كما عبر الجمهوريون بصراحة عن معتقداتهم الدينية طارحين بذلك الديانة موضوعا في الحملة الانتخابية الرئاسية رغم أنهم يجازفون بذلك بفقدان تعاطف بعض الناخبين .

وعندما سئل بوش الابن الذي ينتمي إلى الكنيسة الأنغليكانية عن اسم الفيلسوف والمفكر الذي كان تأثيره عليه كبيرا، قال: إنه يسوع المسيح، وقال إنه بحث طوال حياته عن الخلاص، وأكد حرصه على "الاقتداء بيسوع" في حياته اليومية، وكانت الموضوعات الدينية والأخلاقية محورا للبرامج والحملة الانتخابية. <sup>14</sup>

وكان مجيء يوحنا بولص الثاني على رأس الفاتيكان عام 1980 تحولا كبيرا في سياسة الكنيسة وبرامجها وتوسعة مشاركتها السياسية والاجتماعية، وشملت جولاته البابوية الطويلة أكثر من 120 بلداً، وفي عام 2000 زار عددا من الدول العربية للاحتفال بالألفية الثانية وليقتفي خطى القديس بولص في فلسطين ومصر والأردن .

وفي اليونان تظاهر أكثر من مائة ألف من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية احتجاجا على قيام امرأة يونانية بإقامة مركز للديانة البوذية، وقد قضت محكمة سالونيك بسجنها لمدة شهرين.

ففي اليونان لا يوجد فصل بين الدولة والكنيسة الأرثوذكسية، ولذلك يشترط في اليونان الحصول على إذن مسبق من وزارة التربية والأديان قبل فتح أي مركز للعبادة، ولا يتم التصريح بذلك لغير الأرثوذكس إلا بعد استشارة الكنيسة الأرثوذكسية، التي لا توافق عادة على ذلك.

وفي مقدونيا التي يشكل المسلمون حوالي 40% من سكانها تنشط مبادرات ومشروعات لتأكيد وتنشيط الطابع المسيحي، وأقيم صليب عملاق يصل ارتفاعه إلى مائتي متر على قمة جبل فودنو، وأعيدت تسمية مستشفى مدينة أوهريد (ذات الأثرية الإسلامية) باسم "القديس أرازمو"، وقدم إلى البرلمان مشروع قانون بإصدار عملة جديدة تحمل الصليب، وقدم مشروع قانون آخر يعطي الكنيسة الأرثوذكسية وصفا مميزا في الدولة.

وفي صربيا التي يشكل المسلمون 25% من سكانها تقود الكنيسة الأرثوذكسية تقريبا الحياة السياسية والعمليات العنصرية ضد المسلمين والكروات الكاثوليك.

وكان للكنسية أيضا دور حاسم في تنحية ميلوسوفيتش الرئيس الصربي السابق وانتخاب فويسلاف كوستونيتشا في عام 2000، وذلك بسبب الخلاف الذي أنهى التحالف الذي كان قائما بين ميلوسوفيتش والكنيسة.

ويحاول كوستونيتشا رد الجميل إلى الكنيسة بسبب تأييدها له في فرض سياسات وتشريعات قد تحول صربيا من دولة علمانية إلى أرثوذكسية تخضع لإرادة وسيطرة الكنيسة، فيحرص الرئيس الصربي على زيارة الكنائس والمشاركة في الاحتفالات الدينية وأن يشارك قادة الكنيسة إلى جانب الوزراء والمسؤولين في المهمات والاحتفالات الرسمية.

وأعيدت إلى الكنيسة الأملاك التي صودرت منها في العهد الشيوعي بقيادة تيتو، وأعيد التعليم الديني المسيحي إلى المدارس والجيش والسجون، وتساعد الحكومة في بناء ستمئة كنيسة ومبنى ديني في أنحاء

البلاد، إلى درجة أثارت حفيظة المسلمين في صربيا وفي البوسنة والهرسك، بل وأدت إلى انتقادات صربية أيضا، مثل الفيلسوف الصربي نيناد جاكوفيتش الذي قال إن صربيا تشهد قومية دينية غير ديمقراطية .

وفي أميركا اللاتينية تقوم الكنيسة بدور نضالي في مواجهة الاستبداد وسوء توزيع الموارد والفرص، فالساندينيون الماركسيون في نيكاراغوا على سبيل المثال يستلهمون تعاليم المسيحية ومبادئها في العدالة ومناصرة الفقراء والمستضعفين، ويعتبر القائد السانديني أورتيغا أن المسيح عليه السلام يمثل القائد الاجتماعي المتواضع والمنحاز للفقراء.

إن تجربة الكنيسة في كل من بولندا والبرازيل تعطي مؤشرات على إمكانيات وتحولات في دور الكنيسة توثق أهمية الدور التاريخي للكنيسة باعتبارها مؤسسة دولة لتصبح مؤسسة مجتمع.

وفي البرازيل تبنت الكنيسة هوية جديدة بوصفها "كنيسة الشعب"، وكان لذلك دور كبير في التحول الديمقراطي، ولكن هذه الهوية وجدت نفسها برأي خوسيه كازانوفا مؤلف كتاب الأديان العامة في العالم الحديث في صراع مع الواقع التعددي للمجتمع المدني البرازيلي ومع واقع البنى المهنية النخبوية للمجتمع السياسي.

وقد بدأ الخلاف بين الدولة والكنيسة في البرازيل في القرن التاسع عشر بعدما كانت الكنيسة مؤسسة تابعة للدولة في البرازيل ومن قبل للناج الإسباني، ولكن جرت تسوية هذه الخلافات وأعيدت الكنيسة إلى التضامن مع السلطة.

ولكن الحركات الاجتماعية التي نشأت في البرازيل وبخاصة بعد سياسات إهمال الريف وتجاهل الفقراء شملت الكنيسة لتشارك في برامج الإصلاح الزراعي والانحياز لخيار الفقراء مما جعلها توصف بأنها "كنيسة الشعب" بل وتحول أساقفة الكنيسة إلى دعاة راديكاليين يهاجمون الأوضاع غير الإنسانية للفقراء والمزارعين، بل ويدعون علنا إلى الاشتراكية ومناهضة الرأسمالية.

وساهمت الكنيسة في تشكيل ونشأة الحركات النقابية الريفية، ومواجهة الحكم العسكري الذي جاء نتيجة انقلاب عام 1964 وبدأت مواجهة قوية بين الكنيسة والدولة موضوعها حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.

وكان رد الكنيسة على سياسات الحكومة والاستثمارات الرأسمالية التي أدت إلى نشوء هجرة واسعة من الريف إلى المدن وقيام أزمة البؤس حولها بمساعدة الهنود والريفيين على تنظيم أنفسهم، وتقديم الدعم والحماية لهم في مواجهة الإقطاعيين والسلطات المحلية والمركزية والشركات الاستثمارية .

وأنشئت أيضا مؤسسات كنسية من الأساقفة لهذه الأغراض، مثل اللجنة الرعوية لشؤون العمال والسكان الأصليين (الهنود) ولجنة العدل والسلام لتنسيق النشاطات الإنسانية والاجتماعية والنقابية، والعمل السياسي والإعلامي في مواجهة التعذيب والفساد وانتهاكات حقوق الإنسان.

ومع بداية الثمانينات كان يعمل في البرازيل حوالي ثمانية آلاف جمعية كنسية كانت تعمل كتنظيمات شعبية بين الطبقات الفقيرة بين البرازيليين البالغ عددهم حوالي 150 مليونا يعاني نصفهم على الأقل من الفقر ويعيشون على الهامش، وتعتبر الكنيسة هناك صوتهم الأساسي في مواجهة حالة لا يجدون فيها تمثيلا لأرائهم واهتماماتهم، فالكنيسة كما توصف هناك "صوت من لا صوت له" 

كاتب أردني

الدين والسياسة في التجربة التاريخية الإسلامية

رضوان

السيد

• الفصل بين الشائين الديني والسياسي

• التداخل بين الشائين الديني والسياسي

لا نعرف أزمة طُرحت فيها مسألة العلاقة بين الدين والسلطة السياسية أو بين النخبة الدينية والأخرى السياسية إلا في عصر المأمون العباسي (198 - 218هـ). ففي عام 212هـ (كما يقول المؤرخ الطبري) أصدر المأمون منشورا أمر فيه بلعن معاوية على المنابر. وفي العام 218هـ طلب المأمون (وهو خارج العاصمة بغداد على الجبهة مع البيزنطيين) من واليه على بغداد أن يستدعي إليه علماء من بغداد حددهم بالاسم، ويسألهم عن عقيدتهم في القرآن.

ومع أن أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، ما طلب من الوالي معاقبة أولئك الذين يقولون: إن القرآن غير مخلوق، فالواضح أنه كان يرى ممارسة أشكال مختلفة من الضغوط المعنوية والجسدية على الرافضين، حيث سجن بعضهم، وقُطعت مرتبات آخرين، وصمد في النهاية رجلا: أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، اللذان أصرا على أن "القرآن كلام الله غير مخلوق".

ولا ندري لماذا لم يُسجن الرجلان أو يُضربا، بل أمر الوالي إسحاق بن إبراهيم بإرسالهم إلى معسكر الخليفة على الجبهة. ومات المأمون قبل أن يصل، ثم مات محمد بن نوح خلال العودة إلى بغداد، وبقي أحمد بن حنبل ليعاني من السجن والضرب والتحقيقات المتكررة أيام الخليفين المعتصم (218-227هـ) والواثق (227-232هـ). وفي العام 233هـ أمر الخليفة المتوكل (232-247هـ) بإطلاق سراح ابن حنبل، وتحديد إقامته في منزله، ومنع وصول الناس إليه من غير أهل بيته حتى وفاته عام 241هـ.

**الفصل بين الشائين الديني والسياسي**

وتشير المصادر الأخرى - غير الطبري - إلى أن (المحنة) - كما سمّوها - ما اقتصر على بغداد، بل تناولت علماء بدمشق ومصر والمغرب. وكما لا ندري الأسباب الحقيقية لتصرف المأمون وخلفائه، كذلك لا ندري الفهم الحقيقي لأحمد بن حنبل لهذه المسألة وأبعادها. فالوارد في سيرته أنه كان يقول بالطاعة المطلقة للخليفة في الشأن السياسي، وتحريم الثورة عليه حتى لو أتى أمرا مخالفا للشريعة، لكنه كان يرفض أن تكون للخليفة كلمة أو صلاحيات في الشأن الديني، مع التزام أن تكون المقاومة باسم الدين سلمية، وعدم الرد بعنف على العنف السلطوي.

ونعرف من كتاب للخلال - من الجيل الثاني لأتباع أحمد - عنوانه "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" أن "أهل الحديث" هؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم بين "أولي الأمر" الذين أمر القرآن بطاعتهم (في الشأن الديني) إلى جانب "أولي الأمر" الذين أمر القرآن بطاعتهم (في الشأن السياسي).

ويبدو أن واقعة المأمون (التي لم تتكرر من بعدُ خلال التجربة التاريخية) أفضت إلى فصل عملي بين الشريعة (والقائمين عليها) والسياسة (بما في ذلك الخلفاء والسلطين فيما بعد). وهذا يعني انفراد العلماء

بتحديد أمرين: العقيدة الصحيحة، واشتراع الأحكام استنادا إلى القرآن والسنة (والإجماع فيما بعد، أي إن إجماع "المجتهدين" يتحول إلى شرع أيضا).

وما عنت تلك "المصالحة" - أو ذلك "التوافق" - انتهاء النزاع بين السلطتين على حدود المجالين. فقد كان الفقهاء ينتهزون فرصة ضعف السلطة السياسية فينتزعون منها بعض المسائل التي يرون اصطباغها بصباغ ديني (مثل حق أخذ الزكاة لمن؟ ومثل القضاء في شأن المعارضين السياسيين، ومثل الحسبة) أو تقوى السلطة السياسية فتنتزع من الفقهاء بعض المسائل (مثل قضاء المظالم أو التدخل في شئون المواريث أو نصرة رأي فريق فقهي على آخر؛ لأن تلك الممارسة تلائم السلطان أكثر).

على أن ذلك لا يعني خروج السلطة من المجال الديني أو الإسلامي. ذلك أن مشروعيتها متعلقة به. ولذلك فقد ظل أمير المؤمنين يسمي نفسه على النقود: خليفة الله، كما أن الماوردي (الشافعي) وأبا يعلى (الحنبلي) يعرفان الإمامة (=الخلافة) بأنها رئاسة عامة لخلافة النبوة في "حراسة الدين وسياسة الدنيا به". لكن يبدو أنه كان هناك اصطلاح على أن الفقهاء هم الذين يكون لهم أن يحددوا ما هو الدين، الذي تنبغي حراسته. ثم إن الدولة هي دولة الإسلام، ولذلك فحراسة الدين واجب عليها (من أجل شرعيتها) أكثر مما هو حق لها.

### التداخل بين الشائين الديني والسياسي

وعندنا وقائع من التاريخ الإسلامي الوسيط والمتأخر توضح أبعاد ومفاهيم الطرفين المتنافسين على الدين بالدرجة الأولى، وشئون السلطة بالدرجة الثانية. فالإمرة في الشأن العام لرجال السلطة، لكن الفقهاء ما لبثوا أن تدخلوا ففسّموا "السياسة" أي "تدبير الشأن العام بما يصلحه" إلى سياسة شرعية وأخرى غير شرعية. فإذا كان "صاحب الأمر" قد اصطنع قضاء المظالم وقضاء الحسبة لإيقاع عقوبات من دون العودة للقضاء سياسة (أي من أجل هيبه الدولة)، فإن تلك العقوبات ينبغي أن لا تتجاوز حدود الشريعة وأحكامها، وإلا صارت طاغوتا أو سياسة غير شرعية.

وقد بلغ من انزعاج المؤرخ المقرئزي (845هـ) -وقد كان فقيها حنفيا- أن اتهم السلطات المملوكية باتباع "الياسا" المغولية، وليس الشريعة الإسلامية، لسواد ممارسات في أوساطهم اعتبرها الفقهاء "غير شرعية".

وفي العهد العثماني، وبالتحديد أيام السلطان سليمان القانوني (1522 - 1566م) عمد السلطان إلى الاشتراع في مسائل تنظيمية تتناول قضايا مالية وإدارية، لها أحكام شرعية أو أنها كانت في الأصل من صلاحيات القضاء وفتاوى الفقهاء، فسمّوا ذلك "قوانين" - مع أن السلطان، كما صار معروفا الآن من خلال الدراسات الجديدة، كان يستشير فيها شيخ الإسلام أبا السعود.

ولدينا في التجربة التاريخية أمثلة على أوضاع عكس ذلك، بمعنى أن الفقهاء هم الذين كانوا يرفضون التدخل في الشأن السياسي. فقد أرسل المملوكي المصري علي الكبير قائد جيشه محمد أبو الذهب لاحتلال دمشق عام 1774م وانتزاعها من العثمانيين. لكن بعد سنة أو أقل توفي علي الكبير بالقاهرة، واضطر أبو الذهب لمغادرة الشام، فأراد من العلماء أن يعينوا أحدهم واليا أو حاكما لدمشق يُبقي معه حامية، لكنهم أصروا على أن لا شأن لهم بالأمر السياسي الذي هو من صلاحية السلطان أو نائبه. والأمر نفسه حدث مع نابليون، الذي أراد إعطاء بعض السلطات للعلماء والقضاة تخلّصا من المماليك والعثمانيين على حد سواء. فاعترض القاضي العرشي بأن العلماء قوم مساكين يحتاجون للإحسان، ولا يستطيعون أن يلوا السلطة. ولا يرجع ذلك، كما قد يبدو للوهلة الأولى، إلى أن هؤلاء ما كانوا يرون أن سلطة أبو الذهب أو نابليون، غير شرعية؛ فقد رضوا أن يلوا القضاء منهما، كما رضي بعضهم المشاركة في إدارة الشئون المالية والتنظيمية لمدينة القاهرة أيام نابليون.

وقد اختلف هذا كلّه الآن، بل ومنذ عهد التنظيمات العثمانية أواسط القرن التاسع عشر، أما في عهد التنظيمات، فلظهور أفكار جديدة تقول بالمواطنة، ولا تميز بين "أهل المراتب السلطانية" و"أهل المراتب الدينية" أو بين أرباب السيوف، وأرباب الأقلام. واعتبر العلماء الإصلاحيون أنفسهم مشاركين في تجديد الأمر الديني، والآخر السياسي.

ومشروعات وكتابات الإصلاحيين تدل - مع بقاء التمييز بين الديني والسياسي - على أنهم كانوا يرون أن من حقهم التدخل في الشأن السياسي وليس العكس، بحجة أن السياسيين لا يعرفون في الدين.

وأما في عصر الإحيائية الإسلامية (بعد ثلاثينيات القرن العشرين) فإن الإسلاميين الأصوليين صاروا يرون أن من حقهم - وحدهم - تولي أمور الشأن العام، لعدم التمييز لديهم بين الديني والسياسي. ولإيمانهم بأن "هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله"، وأوله (أيام النبي والصحابة) - من وجهة نظرهم - ما كان هناك تمييز بين الشائين، بل كان الدين هو الذي يسود في إدارة الشأن العام. ويسود منذ عقود وعي عام يقول: إن الإسلام دين ودولة منذ كان، وإنه لا خلاص بالتالي إلا بإقامة الدولة التي تطبق الشريعة.

---

مفكر لبناني وأستاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة اللبنانية.

ما هو الحد الفاصل بين الدين والسياسة؟

ما هو الحد الفاصل بين الدين والسياسة؟؟؟

سؤال طالما أرتقي، وطالما رحلت أبحث في الكتب، في النص ومفسريه وعاقليه ، هل من المعقول أن لا يوجد حد فاصل يفصل بين ما هو ديني رباني إلهي لاهوتي مقدس وبين ما هو سياسي دنيوي براغماتي صدقوني ضعت ذلك السؤال يستتبع عدة أسئلة تجتاحني كما الإعصار، خصوصا مثلي من تعود أن لا يمرر قضية بدون أن يفكر فيها مليون مرة ، بل مليار مرة، حتى اتركها بدون إجابة كعادتي باحثا عن أسئلة أخرى، أسئلة تستفز في داخلي ذلك العقل الراغب في الفهم، في الاقتناع ، في أن يحترم نفسه هل كل ما هو ديني هو سياسي؟ وهل كل ما هو سياسي هو ديني، ألا يقولوا أن الإسلام نظام حياة متكامل لم يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، إذا يجب أن يكون بحسب النظرية الإسلامية هذا الدين سياسيا بالدرجة الأولى ولكن أليس هناك فرق بين الدين والتدين ، هناك دين إلهي لا نعرفه على وجه الحقيقة، على وجه اليقين، حق اليقين، عين اليقين ، إننا ندعي أنها ديننا، ولكن ما نحن فيه هو تديننا لدين الله، ولكن هل نملك صكا، نملك دليلا على أنه دين الله، لا أعتقد أن أحدا يستطيع أن يجزم لي بأنه يمتلك ذلك فإن كان هذا الدين غير يقيني للحظة، فكيف نريد فرضه ؟ نحتاج إلى معجزة لكي نقتنع بيقينته فإن كان والحال كهذا أن هذا الديني غير يقيني، فلا بد ان تكون هناك مساحة فاصلة ، مساحة بعيدة عنه وعن التحكم بكامل مجريات الحياة هذا يقودني إلى أليس من الأفضل أن تكون السياسة بعيدة عن الدين المقدس، أليس من الأفضل أن يبقى هذا المقدس بعيدا عن المدنس "السياسة" حفاظا على قدسيته أقول هذا حفاظا على الدين لا محاربة له، ويستتر الله علي، أنا لا زلت أسئل ولا يعني ما أنا فيه قناعة يقينية، فأنا أغير رأبي متى ما ثبت لي عكسه واقتنعت به لازلت أسئل، وأبحث عن جواب

أعدت المتغيرات الأخيرة في العراق الضوء إلى طائفة الشيعة التي تشير التقديرات إلى أنها تشكل ما بين 55 إلى 60 في المئة من مجموع السكان المسلمين، وتسود جنوب البلاد والفرات الأوسط مع انتشار متباين في بغداد ومناطق أخرى شمالها .

وغاب عن الذهن في أحيان كثيرة أن الشيعة، كسكان، ليسوا حركة سياسية متجانسة أو شبه متجانسة، فهم كغيرهم من الطوائف والأديان موزعون بين فئات وطبقات وتوجهات وانتماءات مختلفة .

### الأحداث المرتبطة بالتاريخ الشيعي في العراق

- اغتيال الإمام علي بن أبي طالب، أول أئمة الشيعة والخليفة الراشدي الرابع، عام 661 للميلاد في مسجد الكوفة
- مقتل الإمام الحسين بن علي، ثالث الأئمة، مع أخيه العباس بن علي وعدد من أنصاره وآل بيته عام 680 للميلاد في كربلاء
- مقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ابن عم الإمام الحسين ورسوله إلى أهل العراق، على يد الأمويين في الكوفة

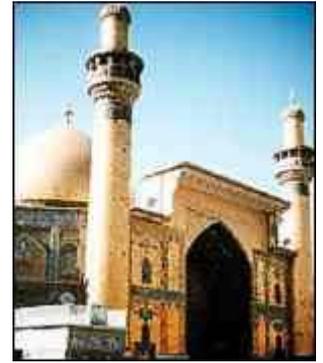
كما لا يعني مجرد الانتماء إلى الطائفة الشيعية أو غيرها مؤشرا إلى هوية سياسية محددة، ولم يكن الدور السياسي الذي اضطلع فيه الشيعة في تاريخ العراق الحديث ذا جذر طائفي بحت بقدر ما هو دور وطني عام غير منعزل عن نشاط الطوائف والملل الأخرى .

إلا أن الإسلام الشيعي، في إطاره العام، اصطبغ بصبغة سياسية بسبب الأحداث التي أحاطت بنشأته والمسار الذي اتخذته تلك الأحداث في الفترات اللاحقة من تاريخ الدولة الإسلامية. وفي حالة العراق يضاف عامل الحيف الذي وقع على الطائفة الشيعية في أعقاب بناء الدولة الحديثة .

### تاريخ التشيع

في حين أن تاريخ بدء التشيع أمر مختلف عليه بين المؤرخين والفقهاء، إلا أنهم يتفقون على أن الجزيرة العربية هي مكان انطلاقه .

وهناك من الفقهاء من يرجع التشيع إلى عهد الرسول محمد (ص)، ويرون أنه نشأ على يد صحابة دعوا إلى إمامة علي بن أبي طالب، ويقولون إن بعض قبائل العرب التي شايعت الإمام علي وصلت إلى العراق أيام الفتوحات الإسلامية واستوطنت في المناطق المحاذية للكوفة .



مرقد الإمام علي في النجف

لكن أغلبهم يرجع التشيع إلى فترة خلافة علي والأحداث التي رافقتها وتلتها. وثمة من ينسب انتشار التشيع في جنوب العراق ووسطه إلى فترات تاريخية أقرب قد تصل لدى بعضهم إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

أما في إيران فقد اتسع نطاق التشيع أيام الدولة الصفوية في القرن السادس عشر الميلادي، بعد أن كان محصورا في مناطق محددة .

## الشيعة والعراق

للوجود الشيعي ارتباط عضوي بالعراق ، بسبب أن الأحداث الجسيمة التي كونت تاريخه وبلورت هوية أتباعه وقعت على هذه الأرض. لكن لهذا الوجود امتدادات في دول أخرى وخصوصا إيران التي شكلت فيها مدينة قم مركزا رديفا للنجف العراقية وبديلا عنها في ظروف معينة .

وبقدر تعلق الأمر بواقعة كربلاء فإنها تمثل منعطفا هاما في تحديد المنحى الذي سارت عليه طقوس الطائفة الشيعية التي اتخذت طابعا فجاجيا . وتمارس لا كل عام فحسب بل في معظم المناسبات الدينية التاريخية، مما أسهم، إلى حد كبير، في تشكيل هوية الطائفة .

ويروي المؤرخون أن الإمام الحسين توجه مع رهط من صحبه وأهله إلى الكوفة قادما من الحجاز عام 680 للميلاد للمطالبة باستعادة الخلافة، التي تولاهها يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه .

ووجد الحسين نفسه مجردا إلا من نفر قليل من أنصاره في مواجهة قوة منظمة يقودها والي يزيد في البصرة والكوفة، الأمر الذي اضطره إلى مواصلة السير باتجاه كربلاء حيث حوصر ومنع الماء عنه، ومن ثم قتل وأسر الأطفال والنساء من أهله ومن بين من أسر ابنه، علي زين العابدين، الإمام الرابع لدى الشيعة .

## مدن وعتبات

□ النجف حيث مرقد الإمام علي ومقر المرجعية الشيعية العليا، وكذلك المركز الأكاديمي المتمثل بالمدارس والمعاهد الدينية، فضلا عن وجود أكبر مقبرة يدفن فيها الشيعة موتاهم وهي مقبرة وادي السلام □ كربلاء التي يوجد فيها مرقد الإمام الحسين وأخيه العباس وعدد من أنصارهما □ الكوفة عاصمة الدولة إبان خلافة الإمام علي وحيث يوجد مسجد الكوفة ومرقد مسلم بن عقيل بن ابي طالب

□ الكاظمية في الجزء الشمالي الغربي من بغداد حيث يوجد مرقد الإمام السابع، موسى الكاظم، وحفيده الإمام التاسع محمد الجواد □ سامراء، إلى الشمال من بغداد، وفيها مرقد الإمام العاشر، علي الهادي وابنه الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري، ويعتقد أنها مسقط الإمام الثاني عشر، محمد المهدي، وهو الإمام المنتظر بالنسبة للشيعة الذين يعتقدون أنه غاب فيها وسيظهر يوما وعليه احتضنت مدن عراقية مرآقد وعتبات مقدسة لدى الشيعة، أضحت مزارات يؤمها المسلمون من العراق وخارجه وتمارس فيها أهم الطقوس الشيعية .

## طقوس الشيعة

بدأت عادة إحياء الطقوس الشيعية في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). وتقام خلال الأيام العشرة الأولى من محرم المجالس الحسينية لاستذكّار الحدث والتعبير عن الحزن بالبكاء ولطم الصدور .

كما تمارس طقوس أخرى تتضمن مسرحة الحدث حيث تقدم عروض في الهواء الطلق تسمى "التشابيه" تروي أحداث واقعة كربلاء وتجسد شخصها الرئيسيين وتحضرها أعداد غفيرة من المشاهدين .

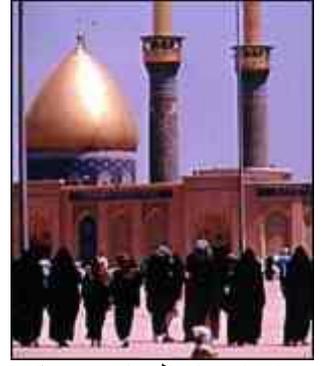
ومن بين الطقوس الأخرى ضرب الرأس وشجها بأدوات حادة واستخدام السلاسل الحديدية لضرب الكتفين، لكن هذه الطقوس محدودة ومختلف على شرعيتها من قبل علماء الشيعة أنفسهم .

## دوافع سياسية

ولم تكن الإجراءات التي اتخذتها السلطات العراقية في السنوات الأخيرة للحد من ممارسة هذه الطقوس هي الأولى من نوعها في التاريخ، فقد جرى التضييق عليها في فترات تاريخية مختلفة .

ويقول المؤرخون الشيعة إن شعائر عاشوراء منعت في بعض الحواضر إبان حكم المماليك في العراق، لكنها استأنفت في ما بعد خلال الحكم العثماني عندما وقعت الأستانة وثيقة سلام مع الإيرانيين في الربع الأول من القرن التاسع عشر .

كما جرت مساع أخرى للسيطرة عليها في فترات أخرى من تاريخ العراق الحديث وخاصة في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي .



مرقد الإمام العباس في كربلاء

ويعد الدافع السياسي من أهم العوامل التي تحدد السلطات إلى اتخاذ إجراءات لتقييد تلك الممارسات ومنع تحولها إلى أداة ضغط سياسية، لكونها تشكل مناسبة للتعبير عن الاعتراض أو الرفض أو الاحتجاج، أو حافظاً للانتفاضات العشائرية والمناطقية .

وزادت وطأة التضييق على ممارسة الطقوس الشيعية بعد قمع الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في العراق عام 1991 إثر هزيمة بغداد في حرب الخليج. وقد تعرض السكان إلى عمليات انتقام واسعة ونفذت القوات الحكومية عمليات قصف لم توفر حتى العتبات المقدسة .

## الإسلام الشيعي السياسي

تعرضت الطائفة الشيعية في العراق في الحقبة الماضية إلى إجراءات سعت للحد من نفوذها لعل أهمها الحرمان من المشاركة الفعالة في الحكم. فلم يحظ الشيعة كسكان في العراق بتمثيل في المؤسسات السياسية بما يتناسب مع حجمهم .

ويرجع سبب ذلك، في جانب كبير منه، إلى غياب الديمقراطية خلال فترات طويلة من تاريخ البلاد الحديث، وخاصة خلال العقود القليلة الماضية، الأمر الذي كبح إسهام الكثير من الفئات والشرائح القومية والدينية والسياسية والفكرية، وأدى في ما أدى إليه إلى أن يبدأ منحى الإسلام الشيعي السياسي بالصعود ممثلاً بنشاطات رجال الدين ومجموعات سياسية منظمة .

وانعكست هذه النشاطات في مسيرات احتجاجية في المدن المقدسة اعتقل على إثرها كثيرون وأعدم قادة ورجال دين كان من أبرزهم المفكر الإسلامي محمد باقر الصدر الذي يعتقد أنه اسهم في أواخر الخمسينات بتأسيس حزب الدعوة في وقت كانت الساحة السياسية تشهد نشاطاً واسعاً للحزب الشيوعي وأحزاب قومية .

واضطلع الدعوة بنشاط بارز في السبعينات والثمانينات مما أثار غضب النظام السابق الذي أصدر قرارات تعاقب من يتهم بالانتماء إليه بالإعدام، لكن الحزب عانى في ما بعد من انشقاقات حولته إلى عدد من الأجنحة .



العتبات الشيعية لم تسلم من القصف بعد الانتفاضة وما أن تازم الوضع أكثر بعد اندلاع الثورة الإسلامية في إيران ونشوب الحرب بين العراق وإيران وتهجير أعداد كبيرة من أبناء الطائفة الشيعية بحجة أنهم من أصول أجنبية حتى اضطر محمد باقر الحكيم، وهو نجل آية الله محسن الحكيم المرجع الأعلى الذي توفي أوائل السبعينات، إلى مغادرة العراق نحو إيران حيث أسس "مكتب الثورة الإسلامية في العراق" .

وقد تحول هذا التنظيم في الثمانينات إلى المجلس الإسلامي الأعلى للثورة الإسلامية، وأصبح له في ما بعد جناح عسكري عُرف بفيلق بدر .

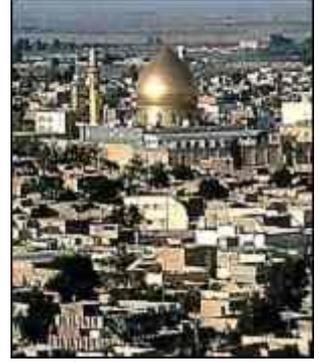
### الحوزة العلمية

تأسست الحوزة العلمية في النجف في القرن الخامس الهجري ويقودها مرجع أعلى هو حالياً آية الله علي السيستاني بعد أن خلف آية الله أبو القاسم الخوئي الذي توفي عام 1992 .

وقد سلطت الحكومة السابقة ضغوطاً كبيرة على المرجعية الشيعية تمثلت باعتقال و اغتيال وقتل عدد من أبناء الأسر الكبيرة كأسرة الحكيم وأسرة آل الصدر التي قتل منها عام 1980 آية الله محمد باقر الصدر، وهو صاحب مؤلفات في الفكر الإسلامي بينها "فلسفتنا" و"اقتصادنا"، والمرجع الأعلى محمد صادق الصدر الذي اغتيل عام 1999 بعد إصراره على إقامة صلاة الجمعة للشيعنة وإمامتها في مسجد الكوفة، الأمر الذي أثار غضب النظام الحاكم حينذاك خوفاً من أن تتحول إلى حافز للتمرد .

وفي تاريخ العراق الحديث لعبت الحوزة، المدعومة من عشائر الجنوب والفرات الأوسط، دوراً سياسياً مهماً لعل أبرز معالمه ثورة العشرين التي اندلعت عام 1920 ضد الاحتلال البريطاني. كما ظهر ذلك واضحاً في الأونة الأخيرة حين رفعت أطراف معينة شعارات تنادي بدور سياسي قيادي للحوزة .

وقد واصلت العشائر الوقوف إلى جانب الحوزة العلمية وكان آخر نشاط لها عندما هبت مؤخرًا، كما أوردت الأنباء، للتدخل من أجل فك ما وصف بأنه حصار على السيستاني فرضه أنصار مقتدى الصدر، نجل آية الله صادق الصدر. ويزعم البعض أن مرجعية السيستاني اتخذت موقفاً مهادناً مع النظام السابق منذرة بمبدأ "التقية" إي اتقاء شر القوي .



سامراء حيث مرقد اثنين من الأئمة والعشائر عامل لا يستهان به في الأحداث السياسية في العراق، فقد سعى الاحتلال البريطاني إلى استخدام بعضها لتسهيل عملية السيطرة على العراق بعد الحرب العالمية الأولى. وحاول صدام حسين نفسه تسخيرها للذود عن نظامه. كما أولت قوات التحالف، هذه الأيام اعتبارا مهما للعامل العشائري .

### زعامات وانقسامات

وبالرغم من الخيط المشترك الذي يربط القوى الشيعية ببعضها، يدور صراع في الخفاء أحيانا وفي العلن أحيانا أخرى، مما يؤشر لانقسام بين الزعامات الشيعية بتداخل بين الاتجاهين السياسي والمرجعي .

فأتباع الصدر، المرجع الأعلى السابق، يسعون إلى تبوء دور قيادي، ويتطلع مقتدى الصدر إلى الزعامة الدينية إلا أن عاملي السن والدرجة العلمية لا يؤهلانه لذلك .

وقد شاع مؤخرا اشتباه بأن لهذه الجماعة علاقة بمقتل عبدالمجيد الخوئي الذي عاد إلى النجف أثناء الحرب الأخيرة، وهو نجل أبو القاسم الخوئي ورئيس المؤسسة المعروفة باسمه في لندن .

وتوجد أيضا زعامة أسرة الحكيم التي تجمع بين المرجعي والسياسي فأية الله محمد باقر الحكيم زعيم لحركة سياسية هي المجلس الإسلامي الأعلى إلى جانب نشاطه العلمي الديني وخلفيته الأكاديمية، ونسب إليه إنه سيتخلى عن زعامة المجلس ويتفرغ للعمل والبحث الديني. كما أنه لم يشارك شخصيا باجتماعات قوى المعارضة بل انتدب إليها أخاه عبدالعزيز الحكيم .

وفي حين يرى البعض أن الأحزاب السياسية الشيعية لا تمثل الحوزة في النجف التي يجب أن تتولى هي تمثيل الشعب، ثمة علماء دين وشخصيات دينية واجتماعية يرون ضرورة النأي بالمرجعية عن النشاط السياسي .

فالفرق الأول يدعو إلى اضطلاع الحوزة بدور يمكنها من تولي القيادة السياسية، بينما يعتقد الفريق الثاني بضرورة اقتصارها على النشاط الروحي وإصدار الفتاوى الدينية إضافة إلى إشرافها على العتبات المقدسة وجباية المال من أتباعها .

قراءة في مقولة: لا سياسة في الدين و لا دين في السياسة

راجت في الفترة الأخيرة مقولة "لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة"، ودعا بعض المفكرين والسياسيين إلى اعتمادها أساساً في حياتنا الاجتماعية والسياسية، فما مبررات الدعوة إليها؟ ومن أين جاءت؟ وما تقويمنا لها على ضوء تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف؟

يطرح دعاة مقولة "لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة" ثلاثة مبررات لدعوتهم تلك هي: أولاً: الدين يمثل ما هو مطلق وثابت، بينما تمثل السياسة ما هو نسبي ومتغير. ثانياً: الدين يوحد في حين أنّ السياسة تفرّق. ثالثاً: السياسة تحركها المصالح الشخصية والفئوية وأنّ الدين يجب أن ينزّه عن ذلك.

أما المبرر الأول وهو قولهم: إنّ الدين يمثل ما هو مطلق وثابت، فيما تمثل السياسة ما هو نسبي ومتغير فهذا القول ليس صحيحاً على إطلاقه، بل الدين فيه جوانب تمثل ما هو مطلق وثابت وفيه جوانب تمثل ما هو نسبي ومتغير، وكذلك السياسة فيها جوانب تمثل ما هو مطلق وثابت وفيها جوانب تمثل ما هو نسبي ومتغير، ويمكن أن نوضح ذلك بأمثلة من المجالين: الدين والسياسة. هناك أمور ثابتة في الدين لا تتغير من مثل: صفات الله؟ وأسمائه، وأحكام الزواج والطلاق، والميراث، والصلاة، والصيام إلخ . . . ، وهناك أمور متغيرة في الدين تنشأ بسبب التطورات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والفنية إلخ . . . ، وتحتاج إلى أحكام جديدة بالإستناد إلى تلك الثابتة وينظم ذلك علم أصول الفقه. وكذلك السياسة تعالج أموراً ثابتة مثل الحفاظ على الأمة والتوحيد والأخلاق والأموال إلخ . . . ، وتعالج أمور متغيرة تختلف فيها وجهات النظر وتختلف الأحكام من وقت إلى آخر من مثل: صورة العلاقات الدولية مع الدول، وأولويات البرنامج الاقتصادي، ومرحلة بناء المنهاج التربوي، وكيفية تدعيم أخلاق المجتمع إلخ . . .

أما المبرر الثاني في المقولة السابقة وهو قولهم: إنّ الدين يوحد وإنّ السياسة تفرّق فهذا مرهون بنوع السياسة، فالسياسة التي تفرّق هي السياسة المنفصلة عن المبادئ والقيم والأخلاق والمثل، أما السياسة المرتبطة بالمبادئ والقيم والأخلاق والمثل والتي تعتبر الدين الإسلامي مرجعيتها فهي توحد ولا تفرّق كمثل الدين سواء بسواء.

أما المبرر الثالث وهو قولهم: إنّ السياسة تحركها المصالح الشخصية والفئوية وأنّ الدين يجب أن ينزّه عن ذلك فهو انعكاس لمقولة مسيحية تميّز بين النجس والمقدس، فكل ما هو دنيوي نجس وكل ما هو ديني مقدّس، في حين أنّ هذه القسمة ليست مطروحة في الحياة الإسلامية بل كل عمل دنيوي يؤديه المسلم كالطعام والشراب والرياضة والنزهة إلخ . . . ، يعتبره الشرع عبادة ويأخذ عليه أجراً إذا ذكر الله في بدايته، أو إذا نوى فيه التقوي على طاعة الله، ويدل على ذلك الحديث الذي قال فيه الرسول؟ مخاطباً الصحابة: "في بضع أحدكم صدقة" قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر". كذلك كانت السياسات الساعية إلى تحقيق هذه المصالح والشهوات مشروعة ومقبولة في نظر الشرع الإسلامي.

لقد جاءت تلك المقولة من الحضارة الغربية التي استقرت نهضتها على فصل الدين عن الدولة بعد أن حجرت الكنيسة على الحقائق العلمية، وأصدرت أحكاماً جائرة على العلماء، لكنّ هذا لم يحدث في تاريخنا فليس هناك مؤسسات كهنوتية وليس هناك رجال دين، بل قامت الدولة على الدين، وعضد الدين الدولة، وحث الإسلام المسلم على الاهتمام بالشأن العام فقال؟: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"، وزكّى القرآن الأمة لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" (آل عمران، 110)، وأحد المعاني المباشرة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو توجيه جانب من وعي المسلم للواقع المحيط به والاجتهاد في تطهيره ومعالجته والارتقاء به، لذلك جاء تصوير الرسول؟ المسلمين بالجسد الواحد الذي تظهر عليه أعراض المرض في حالة إصابة عضو منه، قال؟: "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر". وهذه دعوة واضحة وصريحة من الرسول؟ إلى المسلم ليس للاهتمام بشؤون إخوانه المسلمين الآخرين فحسب بل لاتخاذ الأساليب التي تؤدي إلى إزالة

أسباب الشكوى عن إخوانه الآخرين، وهل يكون ذلك إلا بالعمل السياسي والتعاطي مع السياسة والاختبار بين السياسات والترجيح بين السياسيين؟ لا أظن إلا ذلك.

## "الإسلام السياسي" .. جدلية الدين والسياسة من يطوع من؟



التماهي بين الديني والسياسي ليس «فعالاً حديثاً» بقدر ما هو ضارب في عروق التاريخ البشري - الإسلامي وغير الإسلامي - المكتظ بحمولات «تسييس الدين» و«تديين السياسة»، الأمر الذي يصبح معه البحث عن الخيط الفاصل بين «الديني» و«الدينوي» - بما يتضمنه من نزعات سياسية واجتماعية وسواها - من أهم وأعدد المباحث الفكرية والفلسفية في العصر الحديث .

والتاريخ الإسلامي مكتنز بنماذج هائلة تصب في هذا الاتجاه كانت نتاج هذا التماهي بين «الديني» و«السياسي» سواء في السلطة أو في المعارضة. وهو ما جعل كل فريق يمارس عملية تنظير شرعي وحشد نصوبي يثبت فيه صحة موقفه السياسي و«لا شرعية» موقف الخصم. الأمر الذي أدى إلى نشوء مذاهب وعقائد واتجاهات فكرية وفلسفية كان الدافع السياسي رقماً مهماً في نشوئها وتكونها. وهو ما تناولته بالبحث والدراسة مؤلفات حديثة متعددة حاولت الغوص في تأثير البعد السياسي في نشوء وتكون هذه المذاهب والاتجاهات في التاريخ الإسلامي كبعض إنتاجات الجابري وفهمي جدعان وهشام جعيط وسواهم.

أما الحديث عن «الإسلام السياسي»، فقد بات اليوم أكثر رواجاً من أن يقتصر على اهتمام الدوائر البحثية والثقافية بسبب تزايد أهمية هذا المبحث لارتباطه المباشر بالفعل السياسي الملتصق بحياة الناس، ودخوله ميدان التأثير المتزايد على دوائر السياسة الدولية. خصوصاً بعد أحداث سبتمبر التي جعلت الحديث عن «الإرهاب» مرتبطاً في كثير من الأحيان بالحديث عن الإسلام السياسي. مما زاد من الجرعة البحثية عن هذا الموضوع سواء في العالم العربي أو في المراكز الاستشرافية الغربية وعلى يد باحثين كبار كبرنارد لويس وأولفييه روا وجيل كيل وفرانسوا بورغا وسواهم. ويتمحور الحديث حول أن حركات «الإسلام السياسي» هي في حقيقتها حركات سياسية برغماتية بالدرجة الأولى لها رؤاها وحساباتها ومشروعها السياسي. ربما ساهمت البواعث الدينية والعقدية في تكوينها، ولكنها تسيست بعد دخول المعتكك السياسي. وأصبح الدين مجرد غطاء يُستخدم لحشد الجماهير وردع الخصوم وكسب الرأي العام، ووسيلة للعب على العاطفة الدينية الفطرية للجماهير وكسب تأييدها عن طريق النزعة الشعرازية المفضلة لهذه الحركات، والتي تُستخدم في كل ميادين العمل السياسي كمقولات «القرآن دستورنا» و«الإسلام هو الحل» ورفع المصحف تحت قبة البرلمان في وجوه الخصوم السياسيين في إحياء ديني لا تخفى دلالاته حتى على البسطاء.

يتضح ذلك جلياً لمن يعايش أو يقترب من كواليس العمل السياسي داخل أروقة الحركات والأحزاب الإسلامية حين يكتشف أن الصراع السياسي والبحث عن الحضور الشخصي والمكاسب الذاتية هي الدوافع الطاغية على العاملين في الحقل السياسي الإسلامي. وأن الدوافع الدينية تبقى محدودة وتضيق وسط زحام المصالح والمكاسب الشخصية. وأقرب مثال لذلك ما حصل في الأردن مؤخراً حيث قررت جبهة العمل الإسلامي - الجناح السياسي للإخوان المسلمين - تغيير بعض الوجوه السياسية «المعمرة» في البرلمان بوجوه شابة وجديدة. ونتج عن ذلك رفض بعض هذه الشخصيات البرلمانية المعمرة لفكرة

التغيير. وقررت الانسحاب من الجبهة والترشح للبرلمان كشخصيات مستقلة. وسارت في طريقها نحو البرلمان لتطأ تحت قدميها كل ماضيها النضالي وشعاراتها حول الصف الإسلامي الموحد والتضحية من أجل الدين والدعوة حين وصلت هذه الشعارات إلى مرحلة التطبيق وإلى محك حقيقي يثبت مدى صلابة وصدق هذه الدعوات التي رددوها لعشرات السنين.

حركات «الإسلام السياسي» تضيء قدسية على الخلاف السياسي، وتجعل الاختلاف في الرؤى والمشروعات السياسية خلافاً دينياً عقائدياً لا مكان فيه للفكر المغاير، ولا رأي فيه إلا لأولئك الموقعين عن رب العالمين. ولكن البعض يرى أن في هذا الطرح مصادرة لحرية «الموقف السياسي» للفرد، المكفول في موثيق حقوق الإنسان، وذلك بوضع اشتراطات وخطوط حمراء على حقول فكرية وأنماط في التفكير السياسي هي في حقيقتها الأكثر رواجاً وانتشاراً في العالم العربي والإسلامي اليوم. كما أن هذا الطرح يصب في اتجاه تسويغ القمع والمصادرة التي تمارس ضد الحركات والأحزاب السياسية الإسلامية، وتبرير حرمانها من العمل السياسي العلني. أو السماح لها ولكن وفق سقف محدود في العمل والحركة والمشاركة لا يمكن لها تجاوزه. وذلك بحجة أنها أحزاب دينية. في حين تعمل الأحزاب المسيحية والدينية في الغرب «العلماني» بحرية مطلقة ودون قيود. إضافة إلى أن هذه الحركات والأحزاب السياسية الإسلامية هي في حقيقتها تجمعات ديمقراطية تؤمن - وبشكل صارم - بالتعددية السياسية وبحرية تكوّن وتشكل الفكر ضمن الفضاء السياسي والثقافي المفتوح. وباتت تعلن صباح مساء أنها لا تحتكر فهم الإسلام، وأنها لا تمثل إلا رؤاها وأفكارها السياسية. وأن للجميع الحق في مخالفتها وفق أرضية ديمقراطية للعمل السياسي لا تصادر حق أحد في الوصول إلى الجماهير ومخاطبتها .

ويتساءل بعضهم.. لماذا في الوقت الذي يُصدّر فيه على الإسلاميين حقهم في العمل السياسي يُغض الطرف عن الأحزاب والحركات القومية واليسارية التي ما فتئت تحتكر الحقيقة وتمارس عملية تخوين وتشنيع على المخالف السياسي والتخضير لأفعاله ومواقفه الفكرية والسياسية؟ ويبقى السؤال ..

إلى أي حد يغدو «الإسلام السياسي» حراكاً سياسياً مشروعاً.. وهل «الدين» أم «السياسة» باتت الروح الدافعة لعمل هذه الحركات؟